بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

للأستاذ الدكتور
مصطفى سعيد الخن

الحمد لله الكبير المتعال الذي لا تشبه ذاته الذوات ، ولا صفاته الصفات ، ولا أفعاله الأفعال ، فهو واحد في ذاته وصفاته وأفعاله ، جلَّ عن أن يكون له نِدٌّ أو شريك أو مثال .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد والآل ، صلاة وسلاماً دائمين متواصلين إلى يوم الحشر والمآل ، وبعد :

فليس من العجيب أن يمكث سيدنا محمد رسول الله ﷺ ، قرابة ثلاثة عشر عاماً في مكة وجلَّ اهتمامه فيها هو إصلاح العقيدة ، وكانت آيات قرآن الكريم تنزل عليه ، وجلّها يتحدث عن العقيدة ، ويطلب من الناس الانتقال من العقائد الفاسدة الباطلة إلى العقيدة الصحيحة الواضحة ، ويقيم الأدلة والبراهين على صحة ما يدعوهم إليه ، وفساد ما كانوا عليه .

وما ذاك إلاّ لأن العقيدة هي الباعث والمحرك لسلوك الإنسان سواء أكان ذلك في ميدان الخير أم في ميدان الشر .

فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد جاء إلى دار الأرقم بن أبي الأرقم ليقتل محمداً بن عبد الله لأنه كان يعتقد أنه كاذب فيما يدعيه من النبوة ، وأنه خالف فيما يدعيه ما كان عليه الآباء والأجداد ، وفي القضاء عليه وأد لهذه الدعوة في مهدها ، ولكنه عندما دخل على رسول الله ﷺ وأبصر ما يدعوه إلى نبذ عقيدته الفاسدة ، والإيمان بمحمد عليه الصلاة والسلام ، ونطق بأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، تغيّر سلوكه وموقفه ، وأصبح مدافعاً عن

رسول الله ﷺ بعد أن كان قد جاء ليقتله ويقضي على دعوته ، وقال معلناً عن ذلك : أنحن على الحق أم على الباطل ؟ فيجيبه الرسول عليه الصلاة والسلام : نحن على الحق . فيقول عمر : لماذا نعطي الدنية في ديننا ؟ ويخرج من بيت الأرقم معلناً إسلامه ومدافعاً عن العقيدة الحقة .

إن عمر رضي الله عنه لم يتغير فيه شيء إلا عقيدته ، وبناءً على ذلك تغير سلوكه وموقفه .

ولما للعقيدة الصحيحة من أثر في سلوك الإنسان المنهج الصحيح ، عُني المتقدمون والمتأخرون في إيضاح هذه العقيدة ، وإقامة البراهين على صدقها وصحتها ، وألفوا في ذلك المؤلفات المتنوعة .

وممن عُني بهذا الأمر الإمام الجليل أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي المتوفى سنة ٣٢١ هـ .

فألف كتابه المشهور بالعقيدة الطحاوية ، ذلك الكتاب الذي أصبح عمدةً في بيان عقيدة السلف الصالح .

ولقد عُني العلماء بعده بهذا الكتاب بالقبول ، وتصدى لشرحه وتوضيحه غير واحد من العلماء الأفاضل ، هذا ولقد رأى الأخ الكريم علاء الدين آل رشي أن بعض جوانب هذا الكتاب تحتاج إلى شيء من الإيضاح ، مما يتناسب مع لغة العصر على طريقة كم ترك الأول للآخر .

ولقد رأى فيَّ ما يصلح أن يعرض عليه ما كتبه ، فعرضه عليَّ ، وقرأته له ، وأبديت عليه بعض الملاحظات ، وليس بوسعي إلا أن أقول : جزى الله الأخ الكريم خيراً ، ونفع المسلمين بما كتبه ، وألهمهم أن يتمسكوا بعقيدتهم ويعوها تمام الوعي ، والله الموفق .

د . مصطفى سعيد الخن

دمشق في :

الأربعاء ٢٠ جمادى الأولى ١٤١٧ هجري

٢ تشرين الأول ١٩٩٦ ميلادي .

المقدمة

الحمد لله الذي أكرمنا بالإيمان ، والصلاة والسلام على من جاء بعقيدة هادية للأنام .

أما بعد :

فإن العقيدة[1] الصحيحة هي أُس دين الإسلام ، ولا يقبل عمل من دونها ، لذلك قال العلماء :

الاعتقاد الحق هو الأصل الأصيل ، والركن الركين ، وهو الأول الأول ، والعمل الصالح يقع ثانياً في المرتبة .

ففساد العقيدة يعني فساد العمل وضياعه هباءً منثوراً ، قال سبحانه وتعالى في تبيانه الإلهي :

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾

[الكهف : ١٠٣ـ١٠٥] .

ومن هنا صحَّ إطلاق العقيدة على الدين ، إذ هي أساس الأمر كله .

والمرء لا يستطيع أن يعيش من دون عقيدة تحكم تصرفاته وتوجهها ، فينطلق من

---

(١) كلمة العقيدة لم ترد في القرآن الكريم بلفظ عقيدة ، ولكن وردت مادة العقيدة « عقد » في عدة مواضع من الكتاب العزيز كقوله سبحانه : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ ﴾ [المائدة : ٨٩] ، ويقول د . الخالدي في كتابه في ظلال الإيمان : « ولما في معنى العقد من الجمع والضم والقوة والمتانة والإلزام والتوثيق عبروا عن موضوعات الإيمان بكلمة العقيدة التي لا يمكن أن تتزعزع أو تزول » ا . هـ ص ٦٢ ، وللتوسع : انظر كتاب علم العقيدة بين الأصالة والمعاصرة للدكتور عبد الرحيم السايح .

تصوراتها ، فالعقيدة هي مجموعة من الأركان التي بها يُفسر لغز الحياة ، ويُرسم أبعاد عمر البشر ، أو بمعنى آخر هي التصور الشامل لعلاقة الإنسان بربه وبني جنسه ، وبكونه الذي يعيش فيه ، مع ما ينشئه هذا التصور من تقوّى في الضمير ونظافة في الشعور ، وضخامة في الاهتمامات ، ورفعة في الخلق ، واستقامة في السلوك .

* فعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قالوا : يارسول الله ، أي الإسلام أفضل ؟ قال : « من سلم المسلمون من لسانه ويده »[1] .

* وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً سأل النَّبي ﷺ : أي الإسلام خير ؟ قال : « تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف »[2] .

* وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا تباغضوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخواناً ، ولا يحلُّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام »[3] .

* وعن سهل بن سعد ، عن النَّبي ﷺ قال : « المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، يألم المؤمن لأهل الإيمان كما يألم الجسد لما في الرأس »[4] ، فأيُّ حساسية مرهفة لإنسان كحساسية المؤمن ؟! إنه يعيش للآخرين .

لقد تتابعت بعثات الأنبياء عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم ، لتذكير الإنسان بالإيمان وحقائقه الوجودية الخالدة :

ـ تُعلمه بخالقه سبحانه وتعالى : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء : ٢٥] .

ـ وتُخبره بأن الله معه يحوطه ويرعاه ويمده بعونه في رحلته في هذه المعمورة ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة : ٢٥٧] .

---

(١) رواه البخاري رقم (١١) ومسلم (٤٢) وغيرهما .
(٢) رواه البخاري (١٢) ومسلم (٣٩) وأبو داود (٥١٩٤) والنسائي (٨/ ١٠٧) وابن ماجه (٣٢٥٣) .
(٣) رواه البخاري رقم (٦٠٦٥) ومسلم (٢٥٥٩) .
(٤) رواه أحمد (٥/ ٣٤٠) والطبراني في الكبير (٥٧٤٣) .

ـ وتُوضح له أنه لم يخلق عبثاً ، ولن يترك سدىً ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون : ١١٥] .

هذه بعض ركائز دعوات الرسل ، وكانت مسك الختام دعوته ﷺ ، فما الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ إلا الدين الواحد الخالد ـ جاء في صورته الأخيرة ـ ، وهو امتداد لرسالة الله ، ولعهد الله ، منذ البشرية الأولى يضم جناحيه على ما مضى ، ويأخذ بيد البشرية فيما سيأتي ، يوحِّد بين العهد القديم والعهد الجديد[1] ، ويضيف ما أراده الله من الخير والصلاح للبشرية في مستقبلها الطويل ، ويجمع بذلك بين البشر كلهم إخوة متعارفين يلتقون على عهد الله ودينه لا يتفرقون شيعاً وأحزاباً ، وأقواماً وأجناساً ، ولكن يلتقون عباداً لله مستمسكين جميعاً بعهد الله الذي لا يتبدل منذ فجر الحياة .

والإيمان الذي دعا إليه الإسلام ، هو العهد المعقود بين فطرة الإنسان وبارئه ، أن يعرفه ويعبده وحده لا شريك له ، وهو العهد الذي لا يحتاج إلى بيان ولا يحتاج إلى برهان ، لأن فطرة الإنسان بذاتها تتجه إليه بأشواقها اللَّدنية ، ولا يصدها عنه إلا الغواية والانحراف .

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم : ٣٠] .

* * *

لقد طرأ قصور على فهم المسلم لعقيدته ، ومن ثمَّ لم يعد هناك إدراك لمقاصد الإيمان الذي من أول مقاصده[2] :

---

(١) المقصود بهما الكتب السماوية السابقة (التوراة والإنجيل) .

(٢) ومن مقاصد الإيمان أيضاً ما يقوله الإمام الزرقاني ـ رحمه الله ـ في كتابه مناهل العرفان ١/ ١٠ :

إن الإسلام لا يريد من المسلم ولا يرضى له أن يكون هيكلاً جامداً ، ولا أن يكون تمثالاً هامداً ، فإن الإسلام عدوُّ الهياكل والجمود خصيم التماثيل =

أن يُعاش به ، وله ، وأن يهب لقلب المسلم نوراً ، ولروحه حساسية ، ولمداركه تفتحاً واتصالاً بالحكمة الإلهية في كل أمر ، وفي كل قول يجيء من عند الله .

يحدثنا الإمام ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله ـ عن الإيمان ومقاصده وآثاره فيقول :

« شجرة الإيمان والإسلام ، عروقها : العلم والمعرفة واليقين ، وساقها : الإخلاص ، وفروعها : الأعمال ، وثمرتها : ما توجبه الأعمال الصالحة من الآثار الحميدة والصفات الممدوحة ، والأخلاق الزكية ، والسمت الصالح ، والهدى والدلُّ المرضي »[1] . ما أروع شجرة الإيمان والإسلام وما أطيب ثمارها . .

* * *

ومن تأمَّل المنهج النبوي في الدعوة إلى الله سبحانه ـ لاحظ أن أوّل عمل قام به الرسول الكريم ﷺ هو التركيز على بناء الإيمان ـ فالكفر ملأ حياة قريش ، وكان لابدَّ من تصحيح ذلك والخروج من العَرَض الذي طال ، والرجوع إلى الأصل الذي كاد أن يُزال .

فبدأ ﷺ ـ ببناء العقيدة السليمة بشكل هادىء ، لأنها هي التي تنبثق منها العبادة الصحيحة والسلوك الصحيح ، وهي التي تضمن في الوقت نفسه الثبات على الحق ، وتحمل التضحيات في سبيله ـ ، ولقد طال الزمن وحبيب الله ﷺ ماضٍ في تأصيل العقيدة في نفوس أصحابه ، هناك في دار الأرقم بن أبي الأرقم ، يغرس الإيمان في عقولهم وقلوبهم ، ويسقيه بذكر الله ، وصدق من قال : « القلة العاملة خيرٌ من الكثرة العاطلة » ، فلم يكن الرسول ﷺ يريد التوسع الأفقي (الكم) قبل استكمال البناء العقائدي والنفسي (الكيف) . وبذلك كان إيمان الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ كالجبال الرواسي .

= والهمود ، إنما يريد الإسلام أن يكون المسلم روحاً يبعث الروح ، وحياةً يملأ الدنيا حياة ، ورسولاً من رسل السلام والرحمة والنجاة .

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين ١/ ١٥٨ .

فكان أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وأبو دجانة ، وطلحة ، وحمزة ، وسمية الإسلام ، وأسماء بنت عميس ، وأم الفضل بنت الحارث ، فإيمانهم باشر العقل والقلب معاً ، وربط الفكر والوجدان ربطاً وثيقاً ، فلم يعد الأمر قضية قناعة فكرية باردة ، أو دفعة عاطفية خاوية من القناعة العقلية ، بل هو الالتحام الكامل بين الجانبين ، حيث يصعب التعريف بينهما .

حقاً لقد استطاع سيدنا محمد ﷺ أن يحول وجه الأرض إلى قطعة من السماء مشحونة بملائكة لا ببشر .

يقول فضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ مصطفى سعيد الخن ـ حفظه الله ورعاه ـ :

« وكلما كانت المعرفة صحيحة وحقيقية كانت الدافعَ لصاحبها إلى سلوك فاضل وعمل صالح ، وبه تتحقق للإنسان السعادة الدنيوية والأخروية ، والإنسان من بين سائر الحيوان لا يقاد بالعصا القيادة الحقيقية ، ولا يجرُّ إلى عمل ما أو نهاية ما عن طريق حبل يوضع في عنقه أو حزام يوضع في أنفه ، فينقاد ما شاء له الانقياد . بل إن الإنسان ينقاد من أفكاره ومن مبادئه ومن قيمه ، ومن مُثُله التي استقرت في نفسه ، فكلما تحولت في نفسه هذه القيم ، تحول على إثرها بشكل تلقائي كل سلوكه وتصرفاته .

ومن هذا المنطلق رأينا القرآن الكريم ينزل على رسول الله ﷺ في مكة ثلاثة عشر عاماً لا يعنى إلا بإصلاح العقيدة ، ولا يهتم إلا بإبرازها وإظهارها ، وإقامة البراهين الواضحة عليها ، حتى إذا ما اطمأن إلى أن هذه المبادىء قد ثبتت في العقول والقلوب ورسخت في النفوس ، أتى بعد ذلك بالتشريع المتناوِل جَميع جوانب الحياة فلم يلق معارضة ما في أي حكم من الأحكام ، وما إن ينزل الحكم من قبل الله جل جلاله حتى ترى المسلمين بصوت واحد وحماس واحد يقولون : « سمعنا وأطعنا اللهم قد انتهينا »[1] .

إن الإيمان عمل حاسم في تحويل الغرائز والعواطف الإنسانية من وجهة إلى وجهة .

---

(١) مبادىء العقيدة الإسلامية ص ٣ وما بعدها .

الإيمان ميلاد جديد لحياة الإنسان[1] ، هذا ما فعله رسول الله ﷺ بمن حوله ، وبذا ظهر جيل قلّما جاد الزمن بمثله ، إنه يمثل حلقة مفقودة من تاريخ البشرية ، فالصحابة نخبة ممتازة ، ظهر التصور الإسلامي وحقائقه في حياتهم ففعلوا ما يدهش العقول .

إن من أهم واجبات الدعاة اليوم إحياء العقيدة في نفوس المسلمين ، وسقيها بماء ذكر الله سبحانه وتعالى ، وإيضاح فقهها ومقاصدها ليظهر في الوجود تطبيقاتها ، وينمو في حياتنا الإيمان البنّاء الصاد عن كل قبيح ، فليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ، ولكن هو ما وقر في القلب وصدقه العمل ، كما يقول الإمام الحسن البصري رحمه الله[2] .

* * *

وأسف لا ينقطع لعقيدة كانت أساس توحيد بالأمس تصبح أداة تفريق اليوم ، فالمسلمون لخلافات جُزئيةٍ جزئية ولا تمت لأصول العقيدة إلا من حيث المنهج ، يكفر بعضهم بعضاً ، ويفسّقون من يخالفهم .

وهناك من الناس من يشغل فكر المسلمين بأمور عقيدية خلافية انتهينا منها .

ما الغاية من إدارة عقارب الساعة إلى الوراء لنزج الأمة الإسلامية في مشاكل القرون الخالية ، والتي شمَّر لها علماء الإسلام عن ساعد الجد ومزَّقوا أباطيل من قال بها ؟

لا داعي لإثارة هذه الأمور بين المسلمين ، فالحق أبلج والباطل لجلج .

والمسلمون اليوم عامتهم بحاجة إلى من يبصرهم بحقائق دينهم ومراميه ،

---

(١) هذا ديننا للعلامة المرحوم محمد الغزالي طيب الله ثراه وبلل بالرحمة ذكراه ، ص ٧٥ .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في الإيمان رقم (٩٣) قال العلائي : إسناده جيد ، انظر فيض القدير (٥/ ٣٥٦) .

لا من يشغلهم بمثل أمورٍ مزقت الأمة والكلمة ، فهل سندرك واجب العصر والساعة ؟

هل من يسوي قلوباً قد تخللها ... داء التشتت ؟ إنَّ الداء قتَّال
داء التفرق داءٌ لا دواء له ... يمحو الشعوب وتشقى منه أجيال[1]

إننا لو طوينا سجل الأشياء التي لا تسمن ولا تغني من جوع ، وعدنا إلى العقيدة إلى جمالها وإلى مددها الذي لا ينضب ، لارتقت أحوالنا كثيراً .

« قيل لأحد الصالحين وهو جالس في بيته وحده : ألا تستوحش ؟ فقال : ويستوحش مع الله أحد » ؟! .

وكان أحدهم يخلو في بيته ، ويقول : « من لم تقر عينه بك ، فلا قرّت عينه ، ومن لم يأنس بك فلا أنس » .

وقال بعضهم : « إني أصبت راحة قلبي في مجالسة من لديه حاجتي » .

وقال مسلم بن يسار : « ما تلذذ المتلذذون بمثل الخلوة بمناجاة الله عز وجل »[2] .

ما أحوجنا أن تزهر هذه المعاني في ربوع حياتنا ، هي نصوص نطق بها الصالحون من أمتنا ، ولكن الحقيقة أن لذة الإيمان وحلاوته تتكلم .

وأخيراً فإليك نصٌّ يمثل فقه الإيمان ومقاصده وآثاره مجملة :

يقول الشيخ أحمد الرفاعي رحمه الله تعالى :

أحكموا أعمالكم على الأركان الخمسة التي بني عليها الإسلام ، قال رسول الله ﷺ : بُني الإسلام على خمسٍ : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن

---

(١) الأبيات الشعرية للمرحوم الأستاذ الشيخ صالح الفرفور من قصيدة بعنوان همّات وأفعال ، ضمن مختارات من شعره .
(٢) الأقوال مستقاة ببعض التصرف من كتاب جامع العلوم والحكم (١/ ١٣٣) للإمام ابن رجب رحمه الله .

محمداً عبده ورسوله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان[1] .

إياكم ومحدثات الأمور ، قال عليه الصلاة والسلام : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منا فهو ردٌّ »[2] .

عاملوا الله بالتقوى ، وعاملوا الخلق بالصدق وحسن الخلق ، عاملوا أنفسكم بالمخالفة ، وقفوا عند الحدود .

وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ، وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا .

إياكم والكذب على الله والخلق ، فإن الدعوى كذب على الله وخلقه .

كل العبودية معرفة العبدية ، الدين عمل بالأوامر واجتناب عن النواهي ، وخضوع وانكسار في الأمرين .

« العمل بالأوامر يقرب إلى الله ، والاجتناب عن النواهي خوف من الله .

اطلبوا الله بمتابعة رسوله ﷺ ، وإياكم وسلوك طريق الله بالنفس والهوى ، فمن سلك الطريق بنفسه ضلَّ في أوَّل قدم »[3] .

* * *

---

(١) الحديث رواه البخاري برقم (٨) ومسلم (١٦) والنسائي (٨/١٠٧) والترمذي (٢٦٠٩) .

(٢) الحديث رواه البخاري برقم (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨) وأبو داود (٤٦٠٦) وابن ماجه (١٤) .

(٣) البرهان المؤيد ص ٢٠ .

عملي في البيان « الطحاوية »

ـ كلمة لابُدَّ منها :

الطحاوية متنٌ وجيزٌ محكمٌ يجمع بين الدِّقة والسهولة ، وقد اشتمل على اللب واللباب ، والمهم من العقيدة وعلم التوحيد الذي لا ينبغي للمتعلم جهله .

ولم يقيض الله انتشاراً وقَبولاً لكتابٍ يعرض أصولنا الإيمانية مثل هذا الكتاب ، لقد ذاع صيته وانتشر بين أوساط المسلمين انتشاراً واسعاً ـ ولله الحمد ـ .

يقول الإمام السبكي رحمه الله :

« وهذه المذاهب الأربعة ـ ولله الحمد ـ في العقائد واحدة ، إلا من لحق منها بأهل الاعتزال أو التجسيم ، وإلا فجمهورها على الحق يقرون عقيدة أبي جعفر الطحاوي التي تلقاها العلماء سلفاً وخلفاً بالقَبول »[1] .

ولعلَّ من أسباب قَبولها وانتشارها الأمور التالية :

أولاً : المرجعية التي اعتمدها المصنف رحمه الله ، والتي تمثلت بالأصلين الشريفين « القرآن والسنة » .

ثانياً : نَفَسُ كاتبه الصادق الذي يظهر الإخلاص في كل كلمة كتبها ، وأستطيع أن أدلل على صحة ما أقول بما يلاحظه القارىء العزيز من تكرار لبعض العبارات ، وقصده ـ رحمه الله ـ من هذا التكرار التأكيد على الفكرة

---

(١) معيد النعم ومبيد النقم ص ٢٢ـ٢٣ .

الإسلامية التي يعتقدها أهل السنة والجماعة ، وإظهار التمايز الواضح بين ما نعتقده وما اعتقدته بعض الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة .

ثالثاً : أسلوب عرضه ـ رحمه الله ـ للعقيدة ، وذلك بذكره كل ما يتعلق بأصولنا الإيمانية بشكل مبسط سهل عذب المعاني ، وعلى الرغم من صغرها في مبناها ، لكنها كبيرة في معناها ، إذ أنها تمثل بحق أبجديات التصور الإسلامي وحقائقه .

ما المقصود بالطحاوية في ثوبها الجديد ؟

من اطلع على « كتاب البيان » « الطحاوية » لاحظ التشابك بين الأفكار والتداخل ، فنرى المصنف رحمه الله يتكلم عن الله سبحانه ، ثم ينتقل مباشرة للحديث عن المعراج ، ثم عن الحوض والشفاعة ، ويرجع ليتم الحديث عن الله تعالى ، وهكذا .

فقمت :

أولاً : بجمع المثل إلى مثيله ، وتحت عنوان واحد ، حتى يخلص المسلم من فكرة واحدة لينتقل إلى أخرى ، مريداً بذلك تأسيس فكرة متواصلة للقارىء الكريم ، فمثلاً رتبت كلام المصنف فيما يتعلق بالحديث عن الله في جانب واحد وتحت عنوان « ما يجب اعتقاده في الله » .

ثانياً : قسمت الطحاوية إلى أقسام عدة :

القسم الأول :

وفيه تعريف الإيمان ، وذكر أركانه مجملة ومفصلة ، وقد ألحقت بكل ركنٍ مسائل تتعلق به ، وربما أقسِّم بعض الأركان إلى فقرات عدة كما فعلت بالأصل الخامس من أصولنا الإيمانية ، وقد سرت في سرد العقائد الإسلامية وفق حديث رسول الله ﷺ .

القسم الثاني :

أسميته تنبيهات ، لكون كلام المصنف رحمه الله كأنه تنبيه ، وفيه مسألتان :

أولاهما : نواقضُ الإيمان وما يُخرج العبد من الإيمان .

ثانيتهما : زيادة الإيمان ونقصانه .

القسم الثالث :

أسميته تصورات إيمانية ، وهو جملة أمورٍ ينظر المرء المسلم إليها من منظور إيمانه ، فيحكم لها أو عليها ، وقد قسمته إلى ثلاث فقرات .

القسم الرابع :

وفيه يتكلم المصنف ـ رحمه الله ـ عن الإسلام وخصائصه .

وبعد: يا صاحبي ، لن تدرك جمال الطحاوية في ثوبها الجديد إلا إذا نظرت إليها قبل أن تخرج بهذا الشكل الجميل .

أمّا ما يتعلق بالشرح والتعليق :

فلقد كتبته بلغة سهلة ميسورة ، وشيَّدته بآي القرآن الكريم ، وحلَّيته بالسُّنة المطهرة ، ووشيته بأقوال العلماء من هذه الأمة المباركة .

ـ توسعت في بعض الأماكن التي أحسبها تخدم المسلمين ، كما يظهر في التعليق الواسع على القضاء والقدر .

ـ كنت أتمم في بعض الحواشي بعض الأبحاث العقائدية كـ « بحث الإيمان بالجن » وغيره .

ـ أحياناً كنت أكتفي بالتعليق بكلمات يسيرة ، وحيناً لا أعلق شيئاً كما يتضح ذلك في القسم الثالث ، وذلك كي أدع القارىء يغوص في معانيها ، ويستخرج من دررها .

ـ وضعت العنوانات لكثير من الفقرات .

ـ مزجت في تعليقي وشرحي بين ما كُتب حديثاً وقديماً .

ـ أردت أن يتناسب شرحي مع ثقافة متوسطة ، فلم ألجأ إلا أحياناً ـ وعلى كُرهٍ ـ إلى الخوض في المسائل التي لا تفيد إلا المختص .

فـافتـح لهـا بـاب اعتـذارٍ إن فسـد معنـىً وأوّل مـوهمـاً إذا ورد

* * *

أسأل الله أن يتقبل عملي ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يجزي الخير لكل من له حق علي وإشراف وتوجيه ، وعلى رأسهم فضيلة الفقيه الأصولي الشيخ مصطفى الخن ، الذي أكرمني بمراجعته وتدقيقه لما كتبت ، ودبَّج بقلمه الفياض مقدمة ، بعد أن أبدى ملاحظات عملت بها ، فجزاه الله عني كل خير .

لقد رأيت فيه ـ حفظه الله ـ صدق قصد ، ووفرة علم ، وحسن معاملة ، وطيب أخلاق ، ستبقى مثالاً أحتذيه .

وختاماً :

كلي أمل ورجاء أن أكون قد وفقت في إخراج الطحاوية بثوبها الجديد بشكل يخدم المسلمين ، ويعرض أصولنا الإيمانية بطريقة مبسطة تتناسب وفهوم الناشئة المسلمة وأصحاب الثقافات المتوسطة .

وعلى بركة الله ورعايته نسير معاً لنرى حقائق الوجود الخالدة نزداد معها نوراً على نور ، حق وخير وجمال .

« فأفكارنا غايتها الحق .

وسلوكنا هدفه الخير .

وعواطفنا وجهتها الجمال »[1] .

---

(١) الغناء والموسيقى « دراسة في الحكم الشرعي » عمرو عبد الكريم ص ١٠ .

وهذا كله ينبثق من منظومة قيمنا العقيدية[1] .

* * *

(١) متن الطحاوية الذي اعتمدته هو الذي حققه الأستاذان الفاضلان : محمد مطيع الحافظ ، ومحمد رياض المالح ، وأحياناً من أجل إخراج المتن بشكل متكامل جميل ، أمزج معه المتن الذي حققه فضيلة الشيخ شعيب الأرناؤوط والدكتور المشارك له ، ولم أذكر الفوارق بين النسختين ، حتى لا أثقل الحاشية بما لا يعود بكبير فائدة على القارىء .

ـ كررت بعض الكلمات مثل نؤمن بملك الموت... كررته في بحث الإيمان بالملائكة والآخرة .

ـ أضفت كلمة نؤمن عند الكلام على الملائكة والإيمان بالكتب وجعلت هذه الكلمة بين [] .

ـ أضفت كلمة نؤمن بالرسل في الإيمان بالرسل ، وفي بحث الإيمان بالبعث حذفت الضمير العائد على الرسول وعوضت عنه بذكر اسمه الشريف ﷺ .

ترجمة المصنف رحمه الله

« الطحاوي كان ثقة ثبتاً فقيهاً
عاقلاً لم يخلف مثله »
أبو سعيد بن يونس
[سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٩] .

« هذا هو الطحاوي »

● **اسمه ونسبه ـ رحمه الله ـ :**

هو الإمام المجتهد الحافظ المؤرخ النسَّابة : أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي ، نسبة إلى طحا قرية من قرى الصعيد بمصر .

والأزد من أعظم قبائل العرب ، وهي من القبائل القحطانية .

● **ميلاده ـ رحمه الله ـ :**

ولد سنة (٢٣٩ هـ) فيما رواه ابن يونس ـ تلميذه ـ وتابعه على ذلك كثير ممن ترجم للطحاوي .

قبسات من حياته :

أولاً : هويته الشخصية :

نشأ الطحاوي في أسرة معروفة بالعلم والتقى والصلاح ، كما كانت ذات نفوذ ومنعة وقوة في صعيد مصر .

أبوه : من أهل العلم والبصر بالشعر وروايته[١] .

أمه : معدودة من بين أصحاب الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ الذين يحضرون مجلسه .

---

(١) أعلام المسلمين ، أبو جعفر الطحاوي الإمام المحدث الفقيه ، ص ٧٠ .

يقول عبدُ الله نذير أحمد :

« ذكرها السيوطي في ضمن من كان بمصر من الفقهاء الشافعية ، وقال : أُختُ المزني ، كانت تحضر مجلس الشافعي ، ونقل عنها الرافعي في الزكاة ، وذكرها ابن السبكي والأسنوي في الطبقات »[١] .

« وقد كان للنزعة الوراثية الصالحة ، والبيئة الطيبة التي عاش في وسطها ، آثارها في تكوين شخصية الطحاوي العلمية والخلقية ، وتوجيهه التوجيه السليم الذي سار عليه في نشأته وتعلمه وتعليمه ، وفي مراحل حياته العلمية والعملية »[٢] .

خاله : الإمام المزني ـ رحمه الله ـ من أفقه صحابة الشافعي وأحدِّهم ذكاءً ، كان الطحاوي يدرس عليه في نشأته[٣] .

ثانياً : تحصيله العلمي :

* عاصر الطحاوي الأئمة الحفاظ أصحاب الكتب الستة ومن كان في طبقتهم ، وشارك بعضهم في مروياته[٤] .

* قبل أن يبلغ العشرين من عمره المبارك ، كان شافعي المذهب ، ثم انتقل إلى الحنفي[٥] .

* حصّل علمه عند أغلب العلماء الذين كانوا في مصر ، وكذلك من لقيه في رحلته إلى دمشق[٦] .

---

(١) المصدر السابق ص ٧١ .
(٢) المصدر السابق ص ٧٢ .
(٣) الحاوي في ترجمة الإمام الطحاوي ، للكوثري ، ص ١٥ .
(٤) انظر ص ١٢٤ من ترجمة الطحاوي للدكتور عبد الله نذير أحمد .
(٥) انظر المصدر السابق ص ٧٩ ، والحاوي في ترجمة الطحاوي ص ١٥ ، والبداية والنهاية (١١/١٩٨) .
(٦) انظر ص ٩٥ من ترجمة الطحاوي للدكتور عبد الله أحمد ، و ص ٢٠ من الحاوي للكوثري . =

* تتلمذ عليه الكثير[1] ، ومدحه كل من ترجمه .

مما جاد به يراع هذا الإمام :

قال الإمام الحافظ الذهبي :

« من نظر في تواليف هذا الإمام علم محله من العلم ، وسعة معارفه »[2] .

قال الأستاذ الشيخ محمد زاهد الكوثري :

« لو كان مثل هذا العالم في الغرب ، لانتدب أهل الشأن لدراسة كتبه وتحقيقها رجالاً خاصة »[3] .

كتبه « الموجودة مطبوعة ومخطوطة » :

المطبوع : السنن المأثورة .

شرح معاني الآثار .

الشروط الصغير (مذيلاً بما عثر عليه من الشروط الكبير) .

العقيدة الطحاوية ـ وهو هذا الكتاب ـ (بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة)[4] .

مختصر الطحاوي الأوسط .

مشكل الآثار .

المخطوط : أحكام القرآن « تفسير آيات الأحكام » .

اختلاف العلماء .

---

(١) انظر ص ١٠٢ من ترجمة الطحاوي للدكتور عبد الله أحمد .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٠) .

(٣) الحاوي ص ٣٣ .

(٤) أصل تسمية كتاب العقيدة الطحاوية هو بيان السنة والجماعة ، أي جعل المصنف بداية الجملة الأولى من المتن علماً عليه ثم مع الزمن نسبت العقيدة إلى صاحبها فاشتهرت بـ (العقيدة الطحاوية).

التسوية بين حدثنا وأخبرنا .

صحيح الآثار .

الجامع الكبير في الشروط .

وفاته :

الموت ، سنة الله في خلقه لا تتخلف ، وإذا مات إنسان كالطحاوي ، أمست حال المرء تقول :

العيــن عبــرى والنفــوس صــوادي مات الحجى وقضى جلال النادي[1]

اتفق جلُّ من ترجم حياة الطحاوي ـ رحمه الله ـ على أن أفول نجم الطحاوي كان سنة (٣٢١ هـ) رحمه الله .

ثناء العلماء عليه :

قال الإمام الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ :

« الطحاوي الفقيه الحنفي صاحب المصنفات المفيدة ، والفوائد الغزيرة ، وهو أحد الثقات الأثبات ، والحفاظ الجهابذة »[2] .

قال الإمام الحافظ الذهبي ـ رحمه الله ـ :

« الطحاوي الإمام العلامة الحافظ الكبير ، محدث الديار المصرية وفقيهها »[3] .

---

(١) هذا البيت لأبي الطيب المتنبي .
شرح ألفاظه : عبرى : باكية .
الصوادي : جمع صادية أي ظمأى .
الحجا : العقل .
قضى : مات .

(٢) البداية والنهاية (١١/ ١٩٨) .

(٣) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٧) .

قال الأستاذ الشيخ محمد زاهد الكوثري :

« الطحاوي إمام عظيم ثبت ثقة حجة كالبخاري ومسلم وغيرهما من أصحاب الصحاح والسنن ، يدل على ذلك اتساع روايته ، ومشاركته فيها أئمة الحديث المشهورين »[1] .

* * *

(١) الحاوي في ترجمة الإمام الطحاوي ص ١٤ .